الفصل الرابع

اليهود اللوبافتش
(الحسديم من طائفة خَبَدْ)

طائفة شهيرة تعتبر واحدة من أكبر طوائف اليهود المتشددين، «الحسيديم»، تضم عدداً ضخماً من المتزمتين دينياً، الذين يعتمدون العقيدة التوراتية ـ حسب مفهومهم ـ باعتبارها مرجعية أساسية لحياتهم وكينونتهم، يحيون فى إطارها ومن أجلها، يصيغون واقعهم ونمط عيشهم صياغة خاصة محددة، وثقافتهم ذات سمات مميزة لا يُخطئها بصر.

ويصف الدكتور «رشاد الشامى» هذه الجماعة فيقول إنها، بسبب من أنماط نشاطها وتنظيمها وانتشارها تُشكِّل وحدة قائمة بذاتها «ويبدو أن اصطلاح (ميسدر)، «أتباع الطريقة»، يناسبها أكثر من الاسم «طائفة»، وهم يتميزون بالسمات الواضحة لأصحاب الطريقة، فهم يعترفون بالصلاحية المطلقة لمن يرأسها، ويتم توجيههم من مركز عالمى واحد، ويخضعون للأوامر والانضباط، ويشكلون شخصيتهم الذاتية فى إطار نمطى لا يمكن الخطأ فى تمييزه... وربما كانت هذه الجماعة أكثر الظواهر الاجتماعية إثارة للدهشة فى العالم اليهودى المعاصر»[1].

تأسيسها:

تأسست جماعة «اليهود اللوبافتش» على يد الحاخام «شنيور زلمان»، (١٧٤٥ ـ ١٨١٣)، لكنها استقت اسمها من المدينة التى عاش فيها الحاخام «دوف بر»، (١٧٧٣ ـ ١٨٢٧)، (مدينة لوبافتش الروسية)، وقد تولى زعامتها

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

سبعة من «الأدمورائيم»[1] من أبناء وأحفاد الحاخام «زلمان» المؤسس، آخرهم وأكثرهم نفوذاً وسطوةً الحاخام «مناحم مندل شينورسون»، المولود عام ١٩٥٠، «آدمور» الطريقة الحالى، المقدس المبجل فى نظر أتباعه ومريديه، والمقيم فى مركز إدارة الحركة العالمى، المزود بالتكنولوجيا الرفيعة والإمكانات الضخمة، والواقع فى حى «بروكلين»، بولاية «نيويورك»، فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وحركة اليهود «اللوبافتش» هذه يُطلق عليها أيضاً اسم «حَبَدْ» أو «خَبَدْ»[2]؛ أى حركة «الحكمة» أو «المعرفة» و«الإدراك»[3]، وهى حركة شديدة الثراء عظيمة القدرات، لها نحو ١٥٠٠ مركز منتشر فى أنحاء العالم، منها أكثر من ثلاثمائة مركز موزع على نحو مائة وعشرين مدينة أمريكية، ولها عشرين مركزاً فى روسيا، كما تمتلك فى إسرائيل، وحدها ١٤٤ مركزاً، إضافة إلى عشرات الهيئات والمؤسسات الخدمية التابعة داخل أمريكا، وعلى امتداد العالم، شرقه وغربه، وفى إسرائيل بل وحتى فى العالم العربى كذلك: (فى سوريا وتونس والمغرب)، وفى جنوب إفريقيا، ومعظم الدول الأفريقية، وهى تمتلك محطات إرسال إذاعى وتلفزيونى، تبث عبرها شروح للتوراة وتعاليم زعيمها المطاع، ويتبع الجماعة العشرات من المعاهد والمدارس الدينية، فى العالم وفى إسرائيل، كما تمتلك صحفاً ومجلات ومراكز للنشر والتحرير، وتطبع إنتاجها الفكرى والدعائى بأربع عشرة لغة مختلفة (منها

[1] الأدمورائيم: لقب يُطلق على كبار رجال الدين اليهودى من «الحسيديم» وهى اختصار للكلمات أدونينو ـ مورينو ـ ربينو أى (سيدنا ومعلمنا ومولانا)، انظر المصدر السابق، ص: ١٤٣.

[2] كان الحاخام شنيور زلمان» يرى أن العقل يحتوى على ملكات ثلاث مترابطة هى «حكماه»، (الحكمة)، «بنياه»، (الفهم)، «دعه» (المعرفة)، وهى ـ فى رأيه ـ أمهات الغرائز العاطفية المعروفة، ولتركيز مؤسس الجماعة على هذه القواعد الثلاث التى اشتهرت بها، أصبح فكر جماعة «الحسيديم اللوبافتش» يسمى «خَبَدْ»، وهى كلمة مركبة من الحروف الأولى للكلمات العبرية السابقة، وتنطق «خَبَدْ» لأن اليهود ينطقون الحاء خاء، «وأصبحت الكلمة اسماً لفكر هذه الجماعة وعلماً عليها» انظر جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش: تأسست فى روسيا وانتشرت فى أمريكا. (٥/١)، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٧.

العبرية والعربية واليديشية والفارسية... إلخ)، وتحتفظ الجماعة بواحد من أهم الأرشيفات اليهودية فى العالم، وعلاقاتها بالعديد من رؤساء الولايات المتحدة وثيقة، منهم «رونالد ريجان» الرئيس الأمريكى الأسبق، وكذلك بأعضاء مجلس الشيوخ، أما فى إسرائيل فقد انتمى لها العديد من الأعلام، منهم الرئيس الإسرائيلى الأسبق «زلمان شازار» (المسمى على اسم مؤسسها الحاخام «شنيور زلمان)، الذى زار الحاخام «شينورسون» قبل حرب ١٩٦٧، متلمساً دعمه وبركته كما أن نفراً من أهم القادة الإسرائيليين، كـ «شمعون بيريز» و«يوسف بورج» و«أهارون ياريف» و«مناحم بيجين» كانوا يستشيرونه، ويمثلون أمامه، ويطلبون وده.

الحاخام «مناحم مندل شينورسون»:

يمثل «الأدمورائيم» الأخير لحركة «خَبَدْ» الحاخام «مناحم مندل شينورسون»، حفيد المؤسس والزعيم السابع للجماعة، ظاهرة «كاريزمية» شديدة التأثير، متفردة النفوذ واسعة القدرة، يحيط به خمسة وعشرون ألفاً من أتباعه بصورة دائمة، وُلد عام ١٩٠٢ فى روسيا، ودرس العلوم الدينية على يد والده، كما درس الهندسة وعلوماً «دنيوية» أخرى فى جامعات: لينجراد وبرلين والسوربون، وهو حاصل على الدكتوراه فى الفيزياء وعلوم الطبيعة، هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤١، ثم تولى زعامة الجماعة عام ١٩٥٠، يقترب عمره الآن من القرن، ويملك نفوذاً بالغ القوة إلى الحد الذى جعل الرئيس الأمريكى الأسبق «چيمى كارتر» يعتبر يوم ميلاده الثامن والسبعين يوماً «للتربية» فى أمريكا، فى حين دفع هذا النفوذ الرئيس «رونالد ريجان» إلى أن يُعلن يوم ميلاده الثمانين «يوماً وطنياً للتأمل»[1] وقد بلغ من اتساع مدى سطوة هذا الرجل أن خطبه التى يلقيها باللغة اليديشية، ويحضرها عشرات الآلاف من أتباعه، تُبثُّ بالأقمار الصناعية إلى مريديه

(١) جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش: تأسست فى روسيا وانتشرت فى أمريكا، (٥/٢)، جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٨.

بشتى أنحاء العالم، فى أوروبا وإسرائيل واستراليا وأمريكا اللاتينية.

فى يقين أتباع هذه الطريقة أن زعيمهم الحاخام شينورسون هو المسيح المنتظر، فيؤمنون بقداسته، وارتفاع قامته، وسمو منزلته، ورفعة علمه، ويعتقدون، عن تسليم، أن شروط المُخلِّص قد تحققت فيه [١]، وفى منتصف شهر أبريل عام ١٩٩٢ غمرت الملصقات وإعلانات الطرق الدولة الصهيونية؛ حيث أعلن عبرها أتباعه أنه على وشك تحقيق النبوءة وإعلانه عن نفسه باعتباره المسيح المُخلِّص، بمجرد تلقى الأوامر الإلهية بذلك، وهو المشروع الذى رفضته بحسم المراجع الإسلامية، فوصفه الدكتورة أحمد عمر هاشم أستاذ الحديث والتفسير بجامعة الأزهر، آنذاك، باعتباره محض هوس فكرى وجنون يطبق على بعض العقول»، ورأى أن «شينورسون»: «مخرف يهودى لخزعبلات، وهو ليس أكثر من دجَّال، مثله مثل كثيرون فى مصر و لعالم كله [٢]، وكان شينورسون قد مَهَّدَ للإعلان عن هذا الأمر بقوله، فى مؤتمر عالمى عقد عام ١٩٩١، ن اليهود يريدون إنهاء حال الشتات التى يعيشون فيها، وأن كل المؤشرات على ظهور المُخلِّص قد ظهرت وبانت، وأن الوقت حان للخلاص النهائى والخلاص الأخير، عن طريق مسيح مُخلِّص [٣].

و لـ مناحم مندل شينورسون مجموعة من الأفكار الغريبة التى ترتكز على الإيمان المطلق بالتوراة وما احتوته من مفاهيم وتبنته من مواقف، حتى لو تعارضت مع العلم أو المنطق أو العقل؛ لأن التورا ة ـ من وجهة نظره ـ كلها مقدسة، وكلها أوحى بها من دون استثناء، وليس هناك جزء منها غير الهى [٤]. ومن هذا المنطلق على سبيل المثال، يرى «شينورسون» أن عمر الأرض لا يزيد على سبعة وخمسين قرناً (كما ورد فى التوراة)، ويحل التناقض بين هذه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٧/٤/١٩٩٢.

(٣) جعفر هدى حسن، مصدر سبق ذكره.

(٤) المصدر نفسه.

الرؤية، وما تثبته الحفريات والاكتشافات العلمية من وجود قرائن لحياة تمتد إلى ما قبل التاريخ المكتوب، على وجه البسيطة، فيقول عنها: «إنما هى أشياء وضعها الله على الأرض عند خلقه لها فى الفترة المذكورة»[1].

مواقف الجماعة من الصهيونية:

حدد الحاخام الأسبق «شالوم دوف بعد شينورسون من لوبافتش» منذ أوائل هذا القرن موقف الجماعة المعارض بشدة للصهيونية، التى رأى فيها «مبادرة سلبية لاستعجال النهاية بما يتناقض مع التقاليد اليهودية المستقرة، الأمر الذى يضر بنبوءة الخلاص الذى ينبغى أن يتحقق بصورة مطلقة و«يوتوبية»، وهو ما يتعارض مع الصهيونية»[2].

وقد تمسك خلفاء «الأدمورائيم» الخامس بهذا الموقف الرافض للعقيدة السياسية الصهيونية، وامتد هذا الموقف حتى الزعيم الأخير «مناحم مندل شينورسون»، الذى يعتقد أن اليهود لا يزالون يحيون فترة «المنفى»، ويعيشون مرحلة «الشتات»، وقد أعلن مراراً أنه لا يرى فى الدولة الصهيونية مثلما يرى البعض بداية للخلاص الدينى، إذ إن هذا الأمر - من وجهة نظره - يرتبط بظهور «المُخَلِّص» وإعادة بناء «الهيكل». أما ما فعلته إسرائيل فهو لا يعدو توفير فرصة لإنقاذ الكثيرين من اليهود خلال «عصر النفى»، وينظر إليها باعتبارها دولة كسائر الدول الأخرى التى يتواجد فيها أتباعه، فهو القائل: «إن هذه الدولة هى دولة فى حالة نفى، وليست دولة شرعية أصلية، ولذلك فالهجرة لها تكون هجرة إلى دولة النفى، وهى كأى هجرة إلى مكان آخر يعيش فيه اليهود فى الشتات».

وهكذا فلقد ارتكزت مواقف الجماعة المتشددة من المحاولات الصهيونية المتنامية لتأسيس دولة لليهود فى فلسطين، والتى تصاعدت فى أوائل القرن،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٦٢.

على أسس رؤيوية مسيحانية خالصة، تتأسس على مفهوم خاص لـ «الخلاص»، مبنى على يقين بأن اليهود لابد أن يظلوا منفيين، يعانون من عذابات الشتات، حتى ظهور «المسيح المُخَلِّص»، الموكل له وحده أمر انتشالهم من آلامهم، وساعتها فقط سيقوم بتأسيس «دولة اليهود» الحقيقية التى سيمتد عمرها لألف عام، ومن هذا المنطلق رفض «الأدموراتيم» الخامس للجماعة، «دوف باثر»، المتوفى عام ١٩٢٠، الصهيونية، مؤكداً على أنه «حتى لو اتبع الصهاينة أوامر الإله بشكل دقيق، فإن اليهودى لا يجوز له أن ينضم إليهم لكى يبحث عن الخلاص بجهود ذاتية»؛ فالأفكار الصهيونية لن تنجح من وجهة نظر «دوف» لأنها، «تحتوى على كل السموم التى تمزق الروح الإنسانية، وتحطمها، وأن كل قوتهم (الصهاينة) لن تحقق شيئاً، وأنهم سوف لا ينجحون تجاه إرادة الله، فالله وحده سوف يجمعنا من أطراف الأرض الأربعة»[١]. واستناداً إلى ضرورة أن يكون الخلاص «إلهياً»، أفتى «الأدموراتيم دوف باثر» بعدم جواز التعجيل الإرادى الذى يستهدف تحقيق «الخلاص» بواسطة قوة البشر، أو نشاطاتهم القصدية؛ حيث لا يجوز أن تستعمل الأسباب المادية والسياسية لترك الشتات والذهاب إلى (فلسطين)، إذ إن هذه الطريقة تعارض وصايا التوراة، وكذلك تعارض العقيدة الصهيونية، وأمل اليهود الذين يأملون بالخلاص وينتظرون المُخلِّص النهائى[٢].

وقد اتخذت خطوة باتجاه الاقتراب من الدولة الصهيونية، على يد الحاخام الأخير «مناحم مندل»، حيث رأى مع تأكيده على ما تقدم، أن إنشاء الدولة «كان مبادرة من الإله والتفاته منه نحو اليهود ومن أجل خلاصهم» غير أنهم أضاعوا هذه الفرصة وبددوا تلك الإمكانية، حين «بنوا وجود المجتمع فى فلسطين على أسس لا يجمعها جامع مع توراة شعب إسرائيل»،

(١) جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش: نشأت في روسيا وانتشرت فى أمريكا، (٥/٣) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٣/٤/١٩.

(٢) المصدر نفسه.

وفى رسالة بعث بها إلى «ديفيد بن جوريون»، أول رئيس لوزراء إسرائيل، حَذَّرَ من خطر «نشوء جيل جديد، يحمل اسم إسرائيل، ولكنه مقطوع تماماً عن تاريخ شعبنا وقيمه الأصلية»[1].

لقد كانت هذه الرؤية «الإيجابية» نسبياً حول الدولة «التى أُنشئت بمبادرة من الإله»، على حد تعبير «مناحم مندل شينورسون»، خطوة محسوبة باتجاه اعتبار «شينورسون» نفسه هو ذات «المسيح المُخَلِّص» المرتقب، المناط به أمر جمع شمل اليهود وإلغاء نفيهم، وبناء «دولة يهودا» الألفية.

المواقف العنصرية لليهود اللوبافتش:

ولليهود اللوبافتش مواقف عنصرية فاضحة، تستند إلى أفكار مؤسسها «الأدمورائيم» الأول «شينور زلمان»، التى بثها فى ثنايا كتابه «تانيا»، من جهة وإلى أفكار الحاخام «مناحم شينورسون» من جهة أخرى، حيث يقف مع جماعته على رأس المطالبين بتعديل قانون «من هو اليهودى؟» لضمان «نقاء الجنس اليهودى المختار»، ويرى «أن الفرق بين اليهودى وغير اليهودى، هو من النوع الذى ينطبق عليه التعبير السائد (لا وجه للتشبيه)؛ إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئين من مستويين مختلفين كلياً؟! ففى حين يجلس اليهودى فى المرتبة العليا، وينحدر من الصنف الأسمى، تقبع بقية الأمم فى الدرك الأسفل، وتنحدر من أدنى صنف... فحسبما جاء فى كتاب (الجمارا) المقدس، فإن الجسد اليهودى يختلف كلياً عن أجساد بقية الشعوب - وأصل أرواح شعوب العالم هو من طبقات النجاسة الثلاث، بينما أصل أرواح بنى إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة للجنين... فلا وجه للتشابه بين جنينين من مرتبتين متناقضتين، لأن روح الجنين اليهودى، هى النقيض والضد تماماً للجنين التابع لأى شعب آخر»[2].

(١) المصدر نفسه.

(٢) من مجموعة محادثات الحاخام «شينورسون»، المجلد الثانى، ص:٢٩٧، مذكورة فى إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٧٦.

وقد اعتبر الحاخام «شاخ» هذه التصريحات «نازية وتعود إلى أفكار بعيدة عن روح التوراة»[1]. ومع هذا، استمرت هذه المفاهيم العنصرية، وتطورت، وتبدت انعكاساتها فى الانفجارات اليهودية الدامية التى راح ضحيتها السود الأمريكيين، واستمرت عدة أيام فى شهرى أغسطس ١٩٩١، وفبراير ١٩٩٢، بمدينة «نيويورك»، وكذلك فى المواقف العنصرية تجاه العرب؛ حيث يتبنى الحاخام «مندل» أطروحات شديدة العداوة والكراهية.

الموقف من الاستيطان والعرب والحرب والفلسطينيين:

يؤيد الحاخام «مندل» فكرة أرض إسرائيل الكاملة»، ويحض على توسيع مدى الاستيطان وتعميق أركانه فى الأراضى العربية، دونما اعتبار لردود فعل العرب أو العالم أو أمريكا ذاتها[*] ومن هنا كان حماسه لجماعة «جوش إيمونيم»، الاستيطانية وهو يرى أن على إسرائيل «ألاّ تعيد بوصة واحدة من الأراضى المحتلة عقب حرب ١٩٦٧، وكان يرى أن إسرائيل ساعتها، كان عليها «الشروع فى عملية استيطان واسعة، وأن تغزو أراض عربية جديدة وتحتلها، لأنها ضرورية للمفاوضات المستقبلية، ولأمن الدولة»، وعقب حرب ١٩٧٣ (التى توقع حدوثها)، طرح خطة «نازية» لإجبار سوريا على قبول (السلام)، «بكل سهولة ويسر، وذلك عن طريق الوصول إلى «دمشق» وتطويقها، وقطع الإمدادات والمؤن عنها، ثم قصفها بالقنابل ليل نهار، وبلا انقطاع، والاستمرار على هذا المنوال حتى تطلب سوريا الصلح»[2].

ومن هذه المنطلقات فمن البديهى أن يرفض هذا الحاخام العنصرى رفضاً باتاً منح الفلسطينيين أى شكل من أشكال الحكم الذاتى؛ حيث يعتبر

(١) المصدر نفسه، ص:٢٦٧ ـ ٢٦٨.

* يقول الحاخام «مندل شينورسون» فى رسالة إلى سكان مستوطنة «عتسمونا» برفح: «ليبارك الله كل واحد منكم حيث قمتم بالعودة إلى أرض آبائكم واستيطانها، ونعاهدكم على أن نسير منتصبى القامة، رافعى الهامات، لأننا بهذا العمل نسير وفق تعليمات التوراة».

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٧٩.

أن مجرد الحديث عن هذا الأمر «فيه تدنيس للرب وتدنيس للمقدسات»[١]، ونكوص عن «العودة إلى أرض الآباء» بحسب وصايا التوراة التى «تعرض علينا المحافظة على كامل التراب، ورص الصفوف ووحدة الشعب»[٢].

منح أرضنا للأغيار جريمة عقوبتها القتل.. واغتيال «رابين».. «عمل طيب»

ومما له دلالة أيضاً. فى هذا السياق، التصريح الذى أثار عاصفة كبيرة للحاخام «إبراهام هيكت»، من بوسطن، وأحد زعماء حركة اليهود «اللوبافتش» الكبار، الذى عارض «منح» أية (أرض إسرائيلية)، فى إطار عملية (السلام) (الجارية)، للعرب وقال: «إن الذين «يعطون» الأرض من أعضاء حكومة «رابين» هم «موسريم» أو «خونة لليهود»، ويستحقون القتل بالتالى،... «فمن الناحية الأكاديمية، من ناحية القانون اليهودى... فرابين خائن»... «فالقانون اليهودى يقول إن أى إنسان يتعمد تسليم ثروة (الشعب) اليهودى إلى غرباء، يرتكب خطيئة عقابها الموت»... «إن ما فعله «إيجال عامير»، (بقتله لرابين)، عملٌ طيب»[٣].

■■■

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨٠.

(٣) جهاد الخازن، عيون وآذان، جريدة «الحياة، الدولية، لندن، ١٩٩٥/١١/١٤.

«ألمانيا لهتلر... وإيطاليا لموسولينى... وفلسطين لنا»

«هتاف صهيونى»

«إن مأساة التاريخ المعاصر لليهودية يتلخص فى أنه بدلاً من اكتساب درس من معاناتهم، يتعامل اليهود مع العرب مثلما تعامل النازيون معهم».

«توينبى»

«إن اليهود، (المهددين بالإبادة)، يقومون، باسم الموتى، بمد حدودهم بلا عقاب، ويكثرون من الفتوحات، ويتمادون فى اغتصاب الحقوق والأعمال الانتقامية تجاه ضحاياهم، الذين لا ذنب لهم سوى رفض التسليم بالمصير الظالم الذى فُرض عليهم... لقد أصبح لهم أخيراً بدورهم «يهودهم العرب».

«بيير ديميرون»

من كتاب «ديميرون ضد إسرائيل»

«لكنهم ليسوا بشراً... إنهم عرب»

«أحد قادة حزب العمل»

من كتاب «الصهيونية على لسان قادتها»، يونيل داديانى

«المجزرة... هى استمرار للسياسة عند الصهيونية»

«إيلان هاليفى»

من كتاب «إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة»